من معالم القيادة و الجندية
الصالحة في القرآن الكريم
قصة سليمان وقصة ذي القرنين

إعداد

د. عرفات محمد محمد أحمد عثمان

الأستاذ المساعد في قسم الدراسات القرآنية

بكلية المعلمين بالمدينة المنورة



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وإمام المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

أما بعد.........

فإن قصص القرآن معين لا ينضب، وبحر لا يدرك غوره، وعلى كثرة الآخذين منه والمغترفين فإنه مازال يعطينا الكثير من العظات والعبر النافعة لنا في كل شؤوننا، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف:١١١].

وقصص القرآن يذكر النماذج والأمثلة الصالحة والطالحة، وفي كلٍ موعظة وهدى، وسوف نتعرض إن شاء الله تعالى في هذه الصفحات لبعض معالم القيادة والجندية الراشدة في قصتين من قصص القرآن الكريم، وهما قصتا سليمان مع ملكة سبأ وقصة ذي القرنين.

وبالنظر والتأمل في هاتين القصتين يتجلى المنهج الإسلامي العظيم في قيادة الأمم والشعوب، وفي بيان العسكرية الإسلامية، وانضباطها، ووضح هدفها، وامتزاج القائد بالجند، مع حسن الطاعة منهم، وحسن الخلق منه.

إن هاتين القصتين من أعظم قصص الملوك في الدنيا؛ وذلك لما يحويانه من بيان منهج الإسلام في الحروب، وفي قيادة الجيوش، وسياسة الناس بالحق والعدل، ولذا فمن الواجب على أمة القرآن أن تتدبر هذه القصص وأن تسترشد بما فيها من خير وهداية.

وقد وفقني الله تعالى لإبراز معالم الخير والصلاح في هاتين القصتين الكريمتين؛ وأحسب أنه مما يتناسب مع خط هذا الملتقى المبارك؛ الذي يتحدث عن العسكرية في القرآن الكريم، وما كان لنا أن نتحدث عن العسكرية في القرآن وننسى أعظم القواد والفاتحين الذين نشروا دين الله في الدنيا، وقص القرآن قصصهم لنقتفى أثرها ونسير على نهجها، وننتفع بما فيها.

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن ينقسم إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة؛ تحدثت في المقدمة عن منهجي في البحث بإيجاز، ثم تحدثت في المبحث الأول عن قصة سليمان مع ملكة سبأ، وقد فسرت آياتها تفسيرا موجزا ثم ذكرت معالم الجندية ومعالم القيادة.

وتحدثت في المبحث الثاني عن قصة ذي القرنين، وفسرت آياتها ثم ذكرت معالم القيادة الصالحة.



ثم ختمت البحث بخاتمة بينت فيها أوجه الشبه والاتفاق بين القصتين؛ مما يبين وحدة مصدر القائدين، ونقاء منهجهما، وصدوره من معين واحد، معين الوحي والاهتداء بهداية الله تعالى.

ثم ذكرت في نهاية بحثي أهم نتائجه مع ذكر مراجعه.

والله أسأل أن ينفع به ، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباحث

د.عرفات محمد محمد أحمد عثمان

أستاذ مساعد بقسم الدراسات القرآنية

كلية المعلمين بالمدينة المنورة

معالم الجندية في قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ

تحتوى قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ على كثير من العبر والعظات التي تبين معالم الجندية الصالحة، والقيادة الحكيمة الراشدة، التي تسوس الناس بالعدل والحزم، مع الرأفة والرحمة، وسوف أبين أهم الخصال التي تميز بها الجند والقائد، حتى نتعرف على هذه النماذج القرآنية الرائعة في القيادة والجندية.

وقبل أن نبدأ في عرض أهم هذه المعالم فإني سوف أتعرض لتفسير موجز لآيات القصة حتى يكون القارئ على بينة منها.

وتبدأ الآيات ببيان منة الله تعالى على نبييه داود وسليمان عليهما السلام فقال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [النمل: ١٥]، وداود هو ابن يسي، من سبط يهوذا من بني إسرائيل، وكانت ولادته فى بيت لحم سنة ١٠٨٥ قبل الميلاد تقريباً، وكانت وفاته سنة ١٠٠٠ ق . م تقريباً. وسليمان بن داود ولد بأورشليم سنة ١٠٤٣ قبل الميلاد وتوفى سنة ٩٧٥ قبل الميلاد(١). وقد أعطى الله كلا منهما علما؛ أما داود فقد أعطي علم الزبور، كما علمه الله صنعة الدروع . وقد آتي الله سليمان ملكا لا ينبغي لأحد من بعده ، وعلمه منطق الطير ، ورزق الحكم العادل الرشيد بين الرعية. وقد شكرا ربهما على هذه النعم التي فضلهم بها على كثير من الناس.

وقوله: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ﴾ أي: في الملك والنبوة وليس المراد وراثة المال، إذ لو كان كذلك، لم يخص سليمان وحده من بين سائر أولاد داود(٢)، وقال سليمان عليه السلام –على سبيل التحدث بالعمة وشكرها-: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ علمنا الله – تعالى بفضله وكرمه فهم ما يقوله كل طائر، وأعطانا سبحانه وتعالى من كل شيء يستقيم به أمر ديننا دنيانا، إن هذا لهو الفضل الظاهر من المولى تبارك وتعالى.

ثم تتبين الآيات حالة جمع جنود سليمان من الجن والإنس والطير، وسيرهم بهذا النظام والمتقن: ﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ من الوزع بمعنى الكف والمنع. أي: فهم محبوسون ومجموعون بنظام وترتيب؛ حتى لا يتجاوز أحدهم مكانه أو منزلته أو عمله المنوط به.

---

(١) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية للدكتور عبد الوهاب المسيري طبعة دار الشروق بالقاهرة المجلد الرابع.

(٢) تفسير القرآن العظيم لاين كثير ١٨٢/٦ طبعة دار طيبة.



(حَتَّى) ابتدائية يبتدأ بها الكلام، (إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ) وهو المكان الذي يجتمعون فيه (قَالَتۡ نَمۡلَةٌ)، موصية قومها ومحذرة لهم: يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ، ادخلوا في مكانكم الذي تسكنون فيه حتى لا تتعرضوا للحطم أي للكسر والإهلاك من سليمان وجنده وهم لا يشعرون بكم لقلة حجمكم وضعفكم.

فلما سمع سليمان عليه السلام قولها تبسم ضاحكاً؛ لفطنتها في تحذير قومها، ولسروره بما قالته عنه وعن جيشه من تزكية لهم بأنهم لا يقدمون على هلاكهم إلا وهم غير عارفين بوجودهم. ثم دعا سليمان ربه قائلا: أي رب، ألهمني المداومة على شكرك والامتناع عن جحود نعمك ، والكف عن كل ما يوصل إلى جحود نعمتك التي أوليتها لي ولوالدي.

ثم اطلع سليمان ﷺ على أفراد مملكته لينظر في أمورهم، فقال بعد أن تفقد الطير: ﴿ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ ﴾ والمعنى: ما الذي حال بيني وبين رؤية الهدهد، ثم أضرب عن ذلك بعدما استوثق من غيابه فقال: بل هو من الغائبين. ثم توعده على غيابه فقال: لأعذبن هذا الهدهد عذاباً شديداً يؤلمه، أو لأذبحنه، أو ليأتيني بحجة قوية واضحة توضح سبب غيابه وتجعلني اصفح عنه.

وقوله: (فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٍ) أي: فمكث الهدهد زمانا أو مكانا غير بعيد من تهديد ووعيد سليمان له، ثم أتاه فقال له: (أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ) أي: علمت أشياء ما تعلمها. وابتدأ كلامه بهذه الجملة المشوقة لكي يرغبه في الإنصات إليه ، وليستميل قلبه لقبول عذره.

وقوله: (وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ) توضيح لهذه الإحاطة التي أحاط بها، وسبأ: اسم لقبيلة أو بلد سموا باسم أبيهم الذي هو من نسل قحطان، ثم أخبره الهدهد بهذا الخبر ذي الفائدة العظيمة فقال: (إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ) والمراد بها: بلقيس بنت شراحيل[1] التي ورثت ملك البلاد عن أبيها. وجدتها تحكمهم وتتصرف في أمورهم. (وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ) مما تحتاجه لشؤون ملكها، ولها مع ذلك سرير ملك ضخم عظيم يدل على غناها ورقيها. لكنها على الرغم من كل هذا فإني وجدتها وقومها لا يعبدون الله ويعبدون الشمس، وَزَيَّنَ لَهُمُ الشيطان ما يقومون به من عبادة للشمس فمنعهم بسبب ذلك الشيطان عن سلوك الطريق الحق فهم لاَ يَهْتَدُونَ إلى عبادة الواحد الأحد.

---

[1] رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٥٣٩/١١ عن عبد الله بن عباس، وعبد الرزاق في التفسير عن ٨٠/٢ عن قتادة، وابن أبي حاتم ٢٨٦٥/٩ عن الحسن وقتادة.



ثم تعجب الهدهد من صنيعهم وبين أن الأولى والأجدر بهم أن يسجدوا لله الذي يخرج كل مخبوء فِي السماوات والأرض - ومن جملته أمر ملكة سبأ وقومها- ويعلم كل ما يسره العباد وما يعلنونه. سبحانه رب العرش العظيم.

وبعد أن استمع سليمان ﷺ للهدهد قال له: سننظر في أقوالك هذه، ونرى أكنت صادقاً فيما قلت، أم أنت من جملة الكاذبين؟ خذ كتابي هذا. فاذهب به إلى هؤلاء القوم من أهل سبأ، ثم اتركهم إلى مكان قريب منهم، وذلك لترى ماذا يكون من أمرهم وبماذا يراجع بعضهم بعضاً في هذا الأمر.

فقرأت الملكة الخطاب ثم جمعت قومها وقالت لهم: يا أيها السادة والأشراف من قومي: (إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ). وقد وصفته بالكرم لاشتماله على العظات الحسنة والدعوة الصالحة، وقيل غير ذلك، ثم أبانت لهم عن مصدر الخطاب فقالت: (إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ) وبينت محتواه فقالت: (وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ) وفى ذلك إشارة إلى وصفه بالكرم، حيث اشتمل على اسم الله تعالى وعلى بعض صفاته، وعلى ترك التكبر، وعلى الدخول في الإسلام والانقياد لهدى الله.

وقد عرضت عليهم أن يقولوا رأيهم في هذه النازلة التي نزلت بهم، فإنها ما كانت تبرم أمرا إلا بمشورتهم وحضورهم. لكنهم لم يشيروا عليها بل وكلوا الأمر إليها فقالوا: نحن أصحاب قوة في البنيان وأهل بلاء شديد في القتال والنزال، والأمر موكول إلى رأيك وقرارك فتأملي وانظري فيه بعقلك ثم أرشدينا إلى ما هو مطلوب منا، ولن يكون منا إلا السمع والطاعة!

فقالت قولا يدل على خبرتها بأمور الملك والحكم والسياسة؛ حيث أخبرتهم أن الملوك من عادتهم إذا دخلوا قرية من القرى أن يخربوا عامر البلدة بعد تغلبهم على أهلها بالحرب والقوة، ثم يهينوا أشرافها ورؤساءها ويصيروهم أذلة بعد أن كانوا في عزة. وإني قد عزمت أن أرسل إلى سليمان وجنوده هدية ثمينة تليق بشأنهم، وإني لمنتظرة ماذا سيقول لرسلي عندما يرى تلك الهدية، وكيف يكون تصرفه معهم. قال ابن عباس: (قالت لقومها: إن قبل الهدية فهو ملك فقاتلوه، وإن لم يقبلها فهو نبي فاتبعوه)[1].

فلما وصلت الهدية إلى سليمان عليه السلام أنكر فعلهم هذا وقال: أتقدمون إليّ هذا المال لأكف عن هدايتكم على دين الله؟ فَمَا آتَانِيَ الله من النبوة والملك العظيم خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ من هذه الهدية وغيرها. وقوله: (بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ) إضراب عن كلامه السابق الذي أنكر فيه عليهم إرسال تلك الهدية إلى بيان ما هم عليه من سوء الرأي؛ حيث ظنوا أن هذه الهدية قد تصرف عنهم

---

[1] تفسير ابن كثير ١٩٠/٦.طبعة دار طيبة



سليمان وجنوده. ثم أخبر الرسل أو الهدهد أن يرجعوا فيبلغوهم بأن سليمان سيأتيهم بجند كثيف من الجن والإنس[٢]، ولسوف يخرجهم من هذه البلدة وهم على أسوأ حال من الذلة والصغار.

ثم قال سليمان لجنوده: من منكم يأتي بعرش هذه الملكة قبل أن تحضر إلى هنا هي وقومها مستسلمين خاضعين؟ والظاهر أن هذا الأمر منه عليه السلام لكي يعرفها عظيم قدرة الله تعالى، ولكي تدرك ملكه وقوته، وأيضا ليختبر ذكائها في معرفة عرشها[١].

وبعد أن عرض سليمان الأمر على جنده قال عفريت من الجن لسليمان: أنا آتيك بعرش هذه الملكة قبل أن تقوم مجلسك هذا الذي فيه للفصل والحكم بين الناس أو قبل أن تقف من جلوسك [٢].

ولكن ظهر عرض آخر من الذي عنده علم من الكتاب، الجمهور على أنه آصف بن برخيا، وهو رجل من صالحي بني إسرائيل، وهبه علما، وكان وزيرا لسليمان. وقد وعد أن يأتي بالعرش في لمح البصر، وبين أنه قوي على إحضاره وأمين على ما فيه، وليس بمستغرب على قدرة الله سبحانه وتعالى أن يحضر العرش في أقل من ثوان.

فلما رأى سليمان العرش ماثلا بين يديه، ولم يأخذه الكبر والغرور، بل وكل الأمر كله لربه ومولاه فقال: ﴿ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ والمعنى: إن ما حدث من إحضار العرش بتلك السرعة لهو من فضل الله وعطائه، ليختبرني: أأشكره على نعمه أم أجحد هذه النعم وأكفرها؟ وَمَن شَكَرَ الله على هذه النعم الله فإن ثواب الشكر راجع إليه بالزيادة والفضل والإحسان، أما من كفر فإن الله تعالى غني عن عباده جميعا كريم يعطيهم على ظلمهم وكفرانهم.

ثم أمر سليمان جنوده أن ينكروا العرش، والتنكير ضد التعريف، وذلك بان تتغير هيئته عما كان عليه وهو عندها في بلدها، وإنما فعل سليمان ذلك لينظر: أتهتدي إليه بعد هذا التغيير، أو إلى الجواب اللائق بالمقام عندما تُسأل؟[٣] أم تكون من أولئك الذين لا يهتدون إلى الجواب أو المعرفة.

فلما وصلت بلقيس إلى الأرض المقدسة عند سليمان عليه السلام أراها عرشها بعد تغييره. ثم قيل لها من سليمان أو من جنده: أمثل هذا العرش الذي أمامك الآن، عرشك الذي تركتيه هناك في اليمن؟

---

[٢] تفسير ابن أبي حاتم ٢٨٨٢/٩عن زهير بن محمد.

[١] إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود ٢٨٦/٦ طبعة لبنان

[٢] فتح القدير للشوكاني ١٣٩/٤ طبعة دار الفكر بيروت

[٣] النسفى ٢١٤/٣



ولم يقل لها: أهذا عرشك، لئلا يكون إرشادا لها إلى الجواب، ولكنها أجابت إجابة تدل على فطنتها فقالت: كأنه هو، فشبهت عليهم كما شبهوا عليها، فرد سليمان عليها وقال: وأوتينا العلم من قبلها، أي من قبل مجيئها أو من قبل إسلامها وكنا مسلمين لله تعالى..

ثم بين الحق تعالى السبب الذي كان يصدها عن الدخول في الإسلام فقال: ﴿ **وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ** ﴾ وما موصولة وهي فاعل (صد) والمعنى: إن الذي صرفها عن عبادة الله وحده الشمس التي كانت تعبدها من دون الله؛ فقد كانت من قوم كافرين به سبحانه.

ولئن كانت بلقيس قد استوعبت مفاجأة العرش فإن سليمان عليه السلام قد رتب لها مفاجأة أشد وهى ما ورد في قوله تعالى: ﴿ **قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةً وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَا** ﴾، والصرح القصر أو ساحة البيت، وقد صنع سليمان بلاطه من زجاج صافٍ يشف عما تحته فلما رأت الصرح وعظيم بنائه ظنته ماء غزيرا كالبحر (**وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَا**) لئلا تبتل ثيابها بالماء، وعندئذ فاجأها سليمان قائلا لها (**إِنَّهُ**) قصر مملس من زجاج لا يحجب ما وراءه . فلما رأت ذلك أقرت بذنبها.وأعلنت استسلامها وخضوعها لله رب العالمين.

وبعد هذا التفسير المختصر للآيات الكريمة نستعرض أهم معالم القيادة والجندية فيما يلي:



المطلب الأول: معالم القيادة الراشدة

أولاً: حسن الصلة بالله تعالى:

ويتمثل هذا في الدعاء الذي لهج به لسان الثناء من سليمان: ﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النمل: ١٩]، وفي إرجاعه الفضل إلى موليه ومسديه سبحانه وتعالى؛ وذلك عندما جاءه عرش ملكة سبأ؛ فلم ينسب هذا الفضل إلى نفسه ولا إلى خبرة جنوده وقوتهم، وإنما بين أن هذا الأمر محض فضل من الله تعالى فقال: ﴿ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ [النمل: ٤٠]

ثانيا: حسن تفقد الجنود:

وهذا من واجبات القائد؛ فإن القائد يحتاج إلى تعهد جنوده؛ ومتابعة أحوالهم، وتفقد أمورهم، وذلك ليتسنى له توجيههم، وإصلاح ما فسد من أمرهم، وقد كان سليمان يتفقد جنده دوما كما قال الله تعالى: ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ ﴾ [النمل:٢٠]، قال القرطبي في تفسير الآية: (في هذه الآية دليل على تفقد الإمام أحوال رعيته، والمحافظة عليهم. فانظر إلى الهدهد مع صغره كيف لم يخف على سليمان حاله، فكيف بعظام الملك؟.

ويرحم الله عمر ﷺ فإنه كان على سيرته؛ قال: (لو أن سخلة على شاطئ الفرات أخذها الذئب ليسأل عنها عمر). فما ظنك بوالٍ تذهب على يديه البلدان، وتضيع الرعية ويضيع الرعيان؟

وفي الصحيح عن عبد الله بن عباس ﷺ أن عمر بن الخطاب ﷺ خرج إلى الشام، حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد: أبو عبيدة وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام...الحديث[1].

قال علماؤنا: كان هذا الخروج من عمر ﷺ بعد ما فتح بيت المقدس سنة سبع عشرة على ما ذكره خليفة بن خياط. وكان يتفقد أحوال رعيته وأحوال أمرائه بنفسه، فقد دل القرآن والسنة وبينا ما يجب على الإمام من تفقد أحوال رعيته، ومباشرة ذلك بنفسه، والسفر إلى ذلك وإن طال)[2].

---

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه برقم ٥٧٢٩ ومسلم في صحيحه برقم ٢٢١٩ وسرغ: قرية قريبة من تبوك.

(٢) تفسير القرطبي ١٣١/١٦



ثالثاً: معرفة الجند وحصرهم.

ويتجلى ذلك في معرفته غياب الهدهد وعدم حضوره، حيث قال: ﴿ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴾ [النمل: ٢٠]؛ فعلى الرغم من كثرة الجند وتنوع أجناسهم فإنه عرف غياب الهدهد، ويتضح من نظم الآية أنه تساءل عن الهدهد، مالي لا أراه؟ ثم أضرب عن ذلك فعرف أنه غائب.

وهذا يشير إلى معرفته السريعة بغياب الهدهد وهو فرد من أفراد الجيش، وفيه دلالة على تيقظه ومعرفته لجنده المعرفة الجيدة.

رابعاً: الحزم والعقوبة للمخطئ:

فقد توعد الهدهد بالعذاب الأليم فقال: ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ **[النمل: ٢١]**، وقد ذكر المفسرون هاهنا في كيفية تعذيبه؛ فقالوا: بنتف ريشه، أو بطليه بالقطران وتشميسه، وقيل: بحبسه في القفص، وقيل: بإبعاده من خدمة سليمان، وقيل: بالتفريق بينه وبين إلفه، وقيل: بإلزامه خدمة أقرانه وقيل غير ذلك[١].

وأي ما كانت وسيلة التعذيب فإنها تبين أن أمر الجند لا يستقيم إلا بالمثوبة والعقوبة، وأن ترك الأمور بلا ضابط أو رابط مما يذهب بهيبة القائد، ويضعف عمل الجند.

بل إن التهديد قد وصل إلى درجة الذبح، ولربما يكون ذلك إذا ارتكب ما يوجب توقيع هذه العقوبة عليه.

قال يزيد بن رومان: (فعل سليمان هذا بالهدهد إغلاظا على العاصين، وعقابا على إخلاله بنوبته ورتبته)[٢].

خامساً: سماع رأي الجند وقبول عذر المعتذر:

جاء الهدهد إلى سليمان عليه السلام وتكلم بقوة وثقة، وعرض ما عنده، فسمع له سليمان، وقرر أن يتحقق من كلامه؛ فإن كان صادقا فبها ونعمت، وإن كانت الأخرى فسيعاقب ولا كرامة، قال ابن العربي: (يجِبُ عَلَى الْوَالِي أَنْ يَقْبَلَ عُذْرَ رَعِيَّتِهِ، وَيَدْرَأَ الْعُقُوبَةَ عَنْهُمْ فِي ظَاهِرِ أَحْوَالِهِمْ بِبَاطِنِ أَعْذَارِهِمْ ، وَلَكِنْ لَهُ أَنْ يَمْتَحِنَ ذَلِكَ إذَا تَعَلَّقَ بِهِ حُكْمٌ مِنْ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ، كَمَا فَعَلَ سُلَيْمَانُ عليه السلام؟ فَإِنَّهُ لَمَّا قَالَ لَهُ الْهُدْهُدُ: ﴿ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ

---

[١] انظر في هذه الأقوال: تفسير الطبري ٣٣/١٨، وابن الجوزي في زاد المسير١٦٤/٦ وما بعدها، والكشاف ١٤٣/٣ وغيرهم.

[٢] رواه ابن حاتم برقم ١٦٢٢٩ والطبري ٣٤/١٨.



وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾، لَمْ يَسْتَفِزَّهُ الطَّمَعُ، وَلَا اسْتَجَرَّهُ حُبُّ الزِّيَادَةِ فِي الْمِلْكِ إِلَى أَنْ يَعْرِضَ لَهُ، حَتَّى قَالَ: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾، حِينَئِذٍ غَاظَهُ مَا سَمِعَ، وَطَلَبَ الِانْتِهَاءَ إِلَى مَا أَخْبَرَ، وَتَحْصِيلَ عِلْمِ مَا غَابَ مِنْ ذَلِكَ ، حَتَّى يُغَيِّرَهُ بِالْحَقِّ، وَيَرُدَّهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى)[١].

ولم يستنكف سليمان عليه السلام أن يستمع عليه وقد تأخر عن نوبته، وقد انتفع سليمان من تأخير الهدهد، بل قل: انتفع قوم سبأ كلهم.

سادساً: سرعة اتخاذ القرار:

تقتضى متطلبات القيادة أن يكون قرار القائد سريعا وحازما؛ فلا وقت للتأخير، والقرارات المصيرية التي يترتب عليها مصير قوم من الأقوام لا تحتمل التأجيل أو التسويف، وبخاصة أنه أمر ديني لا يحتمل التأجيل، وقد صح عن نبينا ﷺ أن قال: "**التؤدة في كل شيء خير إلا في عمل الآخرة**"[٢].

فسليمان عليه السلام لم يتأخر ولم يتراخ في إرسال الهدهد، لأن الأمر لا يحتمل التأجيل أو التسويف والقرارات المصيرية في حياة الأمم والأفراد تحتاج إلى رجال ذوي رأي وذوي عزيمة وهمة.

سابعاً: التعفف وعدم قبول الهدايا في دين الله:

لقد عرضت ملكة سبأ على سليمان هدية، وما كان له– وهو الأمين على دين الله– أن يقبلها؛ لأنها هدية غير بريئة؛ فقد أرسلوها إليه ليتركهم وما هم عليه من الكفر وعبادة الشمس من دون الله، وقد ورد أن رسول الله ﷺ قال: "**خذوا العطاء ما كان عطاء فإذا كان رشوة على الدين فلا تقبلوه**"[٣].

ثامنا: المشورة ومعرفة قدرات الجند:

لما أراد نبي الله سليمان أن يأتي بعرش ملكة سبأ طلب من جنده ذلك فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل: ٣٨]، وقد كان يرمى من وراء ذلك إلى أن بذلك بعض ما خصه الله تعالى به من إجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظيم قدرة الله تعالى وعلى ما يشهد لنبوته عليه السلام قبل أن تأتيه[٤].

---

[١] أحكام القرآن لابن العربي ١٤٧٧/٣

[٢] رواه أبو داود في سننه ٤٨١٠، والحاكم ٦٢/١ وهو صحيح.

[٣] قال ابن حجر في المطالب العالية"٤٤٦٨" : رواه اسحق وأحمد بن منيع ورجاله ثقات.

[٤] انظر: روح المعاني للآلوسي.



عرض سليمان عليه السلام الأمر على جنوده ليعرف قدراتهم، فقال عفريت من الجن أنه سيأتي به قبل قيام سليمان من مجلس قضائه، وقال الذي عنده علم من الكتاب إنه سيأتي به في أقل من لمح البصر، وقد أتى به كما وعد.

وهذا يشير إلى أن القائد يلزمه أن يكون عارفا لقدرات جنده، ولِمَا يستطيعه كل واحد فيهم، وإذا لم يتمكن من ذلك فليعرض الأمر عليهم حتى يخبروه بما لديهم. والله أعلم.

تاسعاً: القوة والكثرة في أمور العدة والعتاد.

وهذا مما يبهر الناس، ويخضعهم للحق، فليس كل الناس ممن يتبع الحق لوضوحه أو لنصاعة حجته، وإنما هناك من الناس من يتبع الحق بسبب قوة أهله، وتمكنهم من أمور دنياهم، ووفرة أمورهم، ورغد معيشتهم، ولقد رأينا ذلك في إحضار عرش بلقيس، وفي الصرح الذي دخلته وهي تحسبه لجة مما كان له الأثر الطيب في دخولها الإسلام.



المطلب الثاني: معالم الجندية الصالحة في القصة

أولا: النظام وحسن الترتيب:

ويتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ [النمل: ١٧].

ويوزعون بمعنى: يحبس أولهم على آخرهم، و كما يقول عبد الحميد بن باديس ـــ رحمه الله: (يكفون عن الخروج عن النظام في السير، فيمنع أولهم من سبق آخرهم وآخرهم من التأخر عن سابقه، ويمنعون من الخروج عن الصف من اليمين إلى الشمال؛ لأن وزعه عن الشيء: كفه عنه)[١].

وهذا دليل على النظام وحسن الترتيب الذي كان عليه جند سليمان عليه السلام؛ وفي بدأ الترتيب بالجن لأنه أعتى الطوائف، ثم ذكر الأنس لأنهم أقرب للجن في الخلق من الطير، ثم ذكر الطير بعد ذلك، وهذا دليل على الترتيب والتنسيق الذي كان في جند سليمان عليه السلام.

قال القرطبي: (في الآية دليل على اتخاذ الإمام والحكام وزعة يكفون الناس ويمنعونهم من تطاول بعضهم على بعض، إذ لا يمكن الحكام ذلك بأنفسهم.

وقال ابن عون: سمعت الحسن يقول وهو في مجلس قضائه لما رأى ما يصنع الناس قال: والله ما يصلح هؤلاء الناس إلا وزعة.

وقال الحسن أيضا: لابد للناس من وازع، أي من سلطان يكفهم) [٢].

ثانيا: حسن السمعة للجند:

وذلك بأن يعلم الناس **أن** هذا الجيش جيش لا يظلم أحدا، حتى لو كان حيوانا أو حشرة صغيراً؛ فقد ذكرت النملة عذر جند سليمان لو حطموهم فقالت: ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾، فهذا منها عذر لهذا الجيش لو حدث ذلك منهم، وتزكية لهم بأنهم لا يتعرضون بالأذى لأي مخلوق، حتى لو كان شيئا صغيرا لا ينفعهم ولا يضرهم.

وهذا يدل على السمعة الطيبة التي عرف بها جند سليمان في كل الأوساط.

ثالثا: وضوح الغاية عند الجند:

لقد كان أمر عبادة الله وتوحيده واضحا غاية الوضوح للهدهد؛ ولذلك: فقد أنكر على قوم سبأ عبادتهم للشمس، وتأخر عن الحضور لأنه يعلم أن معرفة أمر هؤلاء القوم مما يدخل السرور على قلب سليمان، وذلك ليدعوهم إلى الهداية، ثم بين أن الشيطان هو الذي زين لهم

---

[١] مجالس التذكير لعبد الحميد بن باديس ص٢٥٩

[٢] تفسير القرطبي ١٦/١١٨، ١١٩.



سوء عملهم وصنيعهم، وذكر استحقاق الله وحده للعبادة، ومسوغات ذلك، وبين أنها وإن كانت ذات عرش عظيم فإن عرش الله أعظم.

وفي كل هذا دليل على التربية الاعتقادية الواضحة للجيش كله.

رابعا: الإيجابية وعدم الخوف من إبداء الرأي والمراجعة للقائد:

لقد كان الهدهد – وهو من جند سليمان- صاحب مبادرة؛ فلم يقتصر دوره على مهمة كشف الماء للجيش، وإنما تعدى ذلك ليكتشف حال أقوام ليسوا على الصراط المستقيم، ثم وصفهم أبلغ وصف جامع لأمور دنياهم ودينهم؛ فقد عرف ملكتهم، وعرف سعة ملكها، وعظمة عرشها، وعرف وضعهم الديني، ثم أبلغ قائده بكل ما رأى، قال القرطبي: (وفي الآية دليل على أن الصغير يقول للكبير والمتعلم للعالم عندي ما ليس عندك إذا تحقق ذلك وتيقنه)[(١)].

خامسا: السرعة والدقة في تنفيذ الأوامر:

ويتجلى ذلك في أمر سليمان للهدهد بأن يذهب بالرسالة إليهم ثم يلقيها إليهم ثم يتولى عنهم وينظر ماذا يرجعون، فهذه عدة أوامر نفذها الهدهد بدقة وسرعة.

ولم تذكر الآيات القرآنية أمر أخذ الهدهد للرسالة وإيصاله إياها؛ وذلك لأنه أمر معلوم ولا يحتاج إلى بيان، والقرآن مبني على الإيجاز، وهذا مما يسميه العلماء: الإيجاز بالحذف. والإضمار القصصي في أحداث هذه القصة كثير، ولعل القارئ المتدبر يلحظه بوضوح.

ويتضح هذا الأمر أيضا في طلب سليمان من ملئه أن يأتوه بعرش ملكة سبأ؛ فقد استجاب الذي عنده علم من الكتاب ونفذ الأمر في أقل من لمح البصر.

سادسا: كثافة الجند وكثرة عددهم وحسن إعدادهم:

وهذا أمر يعلم كل عاقل أنه من جملة أسباب النصر؛ فلو كثر عدد الجنود فإن ذلك يكون أرهب لعدوهم، وأنكى في البطش بهم، ويتضح هذا في تنوع أجناسهم، من جن وإنس وطير، ويتضح أيضا في تهديد سليمان لرسل ملكة سبأ بقوله: ﴿ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [النمل: ٣٧].

فهذا دليل على كثرة الجند، وحسن إعدادهم للقتال، وثقة سليمان في قدرتهم.

(١) تفسير القرطبي ١٦/١٣٦.



المبحث الثاني: قصة ذي القرنين

أثارت قصة ذي القرنين اختلافات كثيرة بين المفسرين وأهل التاريخ والسير؛ فقد اختلفوا في اسمه، وفي سبب تلقيبه بذي القرنين، وفي العصر الذي عاش فيه، وفى البلد التي ولد فيها، وفي نبوته، وهل هو الإسكندر الأكبر؟ أم هو تبع أم غير ذلك؟

ولا نريد في هذا البحث الموجز أن نتعرض لتفاصيل هذه الاختلافات، وإنما سنحاول في عجالة أن نذكر ما صح في أمره وما ثبت بالدليل.

ولم يثبت في القرآن الكريم أي تفاصيل عن شخصه؛ لأن القصة القرآنية لا تهتم إلا بجانب العظة والعبرة، وقد ورد في شأنه قول النبي ﷺ: "**ما أدري أتبع أنبيا كان أم لا؟ و ما أدري ذا القرنين أنبيا كان أم لا؟ و ما أدري الحدود كفارات لأهلها أم لا؟**"[1].

وإذا كان قد ورد في بعض الأحاديث الصحيحة أن الحدود كفارة، وأن تبعا قد أسلم، فلم يرد شيء عن ذي القرنين، فليس هناك إذا دليل قطعي على نبوته.

وإذا أردنا أن نتلمس بعض الأمور الصحيحة في قصة ذي القرنين فإننا نرجح أن تسميته بذلك لأنه ملك قرني الدنيا: المشرق والمغرب، وقد صح هذا عن الزهري فقال: بلغ قرن الشمس من مطلعها وقرنها من مغربها: قال ابن كثير: (وهذا أشبه من غيره)[2].

وإذا كان بعض المؤرخين والمفسرين قد رجحوا أنه الإسكندر الأكبر فإن التحقيق العلمي يثبت أن ذا القرنين ليس هو الإسكندر الأكبر؛ لأن الإسكندر كان وثنيا من أتباع أرسطو، وثبت أنه كان يشرب الخمر، ويرتكب الموبقات، وهذا يخالف ما جاء به القرآن من الثناء على ذي القرنين ومدحه بخصال الخير والعدل.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (فإن أَرسطو باتفاقهم كَانَ وَزِيرًا لِلإسكندر بن فيلبس المقدُوني الذي تؤرخ به اليهود وَالنصَارَى التَّاريخَ الرومي. وكان قبْل المسيح بنحو ثلاثمائة سَنَة. وَقَدْ يَظُنُّونَ أَنَّ هَذَا هُوَ "ذُو الْقَرْنَيْنِ" الْمَذْكُورُ فِي الْقُرْآنِ وَأَنَّ أَرِسطُو كَانَ وَزِيرًا لِذِي الْقَرْنَيْنِ الْمَذْكُورِ فِي الْقُرْآنِ وَهَذَا جَهْلٌ. فَإِنَّ هَذَا الْإِسكَنْدَرَ بْنَ فيلبس لَمْ يَصِلْ إلَى بِلَادِ التُّرْكِ وَلَمْ يَبْنِ السَّدَّ وَإِنَّمَا وَصَلَ إلَى بِلَادِ الْفُرْسِ. وَذُو الْقَرْنَيْنِ الْمَذْكُورُ فِي الْقُرْآنِ وَصَلَ إلَى شَرْقِ الْأَرْضِ وَغَرْبِهَا وَكَانَ مُتَقَدِّمًا عَلَى هَذَا... وَكَانَ مُوَحِّدًا مُؤْمِنًا؛ وَذَاكَ مُشْرِكًا: كَانَ يَعْبُدُ هُوَ وَقَوْمُهُ الْكَوَاكِبَ وَالْأَصْنَامَ وَيُعَانُونَ السِّحْرَ كَمَا كَانَ

---

[1] أخرجه أبو داود في سننه برقم: ٤٦٧٤، دون الجملة الثالثة، والحاكم في المستدرك١/ ٣٦ وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ولا أعلم له علة، ووافقه الذهبي، وعنه البيهقي٨ / ٣٢٩، وابن عساكر في تاريخ دمشق الكبير٣٣٧/١٧، وابن أبي حاتم في التفسير٢٨٩/١٠ برقم: ١٨٥٥٣، والحديث سنده صحيح.

[2] البداية والنهاية٣٢٠/٢، طبعة النور.



أَرِسْطُو وَقَوْمُهُ مِنْ الْيُونَانِ مُشْرِكِينَ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَيُعَانُونَ السِّحْرَ وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ مُصَنَّفَاتٌ وَأَخْبَارُهُمْ مَشْهُورَةٌ وَآثَارُهُمْ ظَاهِرَةٌ بِذَلِكَ . فَأَيْنَ هَذَا مِنْ هَذَا[1].

وهذا كلام واضح وصريح يدلنا على أن ذا القرنين ليس هو الإسكندر المقدوني؛ فالإسكندر كان وثنيا وذو القرنين رجل صالح عابد عادل، فلا مشابهة بين الرجلين بحال.

والذي نستطيع الجزم به في قصة ذي القرنين أنه كان ملكا صالحا، فتح الفتوح ونصر المظلوم، ودعا إلى عبادة الله وحده، ولم يثبت بدليل قطعي كونه نبيا.

قال الخازن في تفسيره: (والأصح الذي عليه الأكثرون أنه كان ملكاً صالحاً عادلاً وأنه بلغ أقصى المغرب والمشرق والشمال والجنوب) [2].

والمعلم المهم في القصة هو العبرة والعظة منها؛ وقصة ذي القرنين، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فقصة ذي القرنين أحسن قصص الملوك، وقصة أهل الكهف أحسن قصص أولياء الله الذين كانوا في زمن الفترة)[3].

وسوف نبدأ بتفسير آيات قصة ذي القرنين تفسيرا موجزا فنقول وبالله التوفيق:

سألت قريش أو اليهود رسول الله ﷺ عن قصة رجل طواف بلغ مشرق الشمس ومغربها وقد عبر بصيغة المضارع (يَسۡـَٔلُونَكَ) لاستحضار الصورة الماضية أو للدلالة على استمرارهم في السؤال، وقد سألوا عن شأن ذي القرنين فلقن الله نبيه ﷺ الجواب: (سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا): الخطاب للسائلين، والهاء راجعة إلى ذي القرنين، ومن للتبعيض أي: بعض خبره وقصصه. والمراد بالتلاوة الذكر في القرآن من الله تعالى.

وقوله: (إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ): أي جعلنا له مكنة وقدرة على التصرّف في الدنيا. وذلك بكثرة الجند، وتيسير السير في الأرض.

وقوله:(وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا) أي: وأعطاه الله تعالى من كل شيء من الأسلحة والجيوش ومعرفة الجغرافيا والبلدان، وسياسة الناس وغير ذلك.

وقوله: ﴿ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ﴾: فأراد أن يزيد في تقويه هذه الأسباب فسلك طريقا يوصله إلى المكان الذي تغرب فيه الشمس، حتى إذا وصل إلى منتهى الأرض المعمورة في زمانه من

---

(1) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه ٣/.

(2) لباب التأويل للخازن: ٢/ ٢١٤ .

(3) مجموع فتاوى ابن تيمية. ٢٢/١٧.



ناحية المغرب رآها في نظره عند غروبها، كأنها تغرب في عين حمئة: أي: ذات حمأة وهى الطين الأسود أي وجدها في عين مظلمة، وإن لم تكن هي في الحقيقة كذلك ووجد عند تلك العين على الساحل المتصل بها أمة من الأمم فخاطبه الله تعالى عن طريق الإلهام، أو على لسان ملك فقال: يا ذا القرنين إما أن تعذب هؤلاء القوم الكافرين بالقتل أو بغيره، وإما أن تتخذ فيهم أمراً أمرا حسنا تقتضيه السياسة الشرعية.

ثم ذكر القرآن جوابه الذي يدل على استقامة أمره، وحسن فعله فقال أما من ظلم نفسه بالكفر فسوف نعذبه بالقتل أو بغيره، ثم يرد إلى ربه في الآخرة فيعذبه فيها عذابا منكرا شديدا في نار جهنم. أما من آمن بالله وحده وعمل صالحا يقتضيه إيمانه فله المثوبة الحسنة بالجنة وسنقول له قولا لا مشقة فيه ولا عسر.

﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ راجعا من مغرب الشمس إلى مشرقها وكان في طريقه يدعو الناس إلى الله.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ ﴾: أي: مطلعها من الأفق الشرقي في عين الناظر وجد الشمس: ﴿ تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴾ أي: وصل إلى مكان به قوم عراة يسكنون الأسراب والكهوف في نهاية المعمورة من جهة المشرق.

وقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾: أي أن الله سبحانه كان عالما بأحوال ذي القرنين، مطلعا على خطواته، محيطا بأخباره وأخبار من معه ، فما يتحركون حركة إلا بإذن الله ومشيئته.

﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾: أي طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ ﴾ أي الجبلين الذين يسدان فجا من فجاج الأرض وجد من ورائهما قوما لا يفقهون أقوال ذي القرنين لقلة فطنتهم وغرابة لغتهم.

لقد اشتكى هؤلاء القوم إلى ذي القرنين فقالوا: ﴿ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾، ويأجوج ومأجوج قبائل كثيرة العدد عظيمة الإفساد، قد أعملوا في الأرض الفساد وآذوا العباد فاشتكى منهم هؤلاء القوم وعرضوا على ذي القرنين أن يؤمنهم فقالوا: ﴿ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ أي: هلا جعلنا لك مالا عظيما لتقوم ببناء سد يحجز بيننا وبين هؤلاء المفسدين.



فرد عليهم ذو القرنين قائلا: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ ﴾: أي إن الذي وهبني ربي من الملك والتمكين خير لي من أموالكم وما أطلب منكم إلا أن تساعدوني بأيديكم لأجعل بينكم وبين هؤلاء المخربين حاجزا حصينا منيعا.

ثم طلب منهم العون العملي فقال: ﴿ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ﴾: أي قطع الحديد الكبيرة، حتى إذا وصل الحديد بين قمتي الجبلين المتقابلتين قال أوقدوا النار تحت الحديد. حتى إذا صارت قطع الحديد كالنار طلب منهم أن يحضروا له نحاسا مذابا، لكي يفرغه على تلك القطع من الحديد لتزداد صلابة ومتانة وقوة. ﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ ﴾: أي فما قدر يأجوج ومأجوج عن الصعود على ظهر السد لملاسته وما استطاعوا نقضه وخرقه لقوته، وعندئذ قال ذو القرنين لمن عنده من أهل تلك الديار وغيرهم: هذا السد أو العون على بنائه ﴿ رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ﴾: أي أثر من آثار رحمة الله تعالى للناس كافة ولهؤلاء القوم المجاورين له ولمن خلفهم: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى ﴾ الذي قدر فيه خروج يأجوج ومأجوج ودنو يوم القيامة ﴿ جَعَلَهُۥ ﴾ أي السد أرضا مستوية ﴿ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴾أي: وعده المعهود للناس، أو كل ما وعد به سبحانه ومن جملته هذا.

وبعد أن تعرضنا لتفسير الآيات تفسيرا موجزا سوف نتعرض إن شاء الله لأهم معـــالم القيادة والجندية الصالحة كما صورتها القصة الكريمة فيما يلي:

أولاً: إثابة المطيع وتعذيب العاصي:

ويتضح هذا في قول الله تعالى: ﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الكهف:٨٧، ٨٨]، فالقائد لا بد أن يجمع بين الترغيب والترهيب، وأن يتعامل مع الجند ومع غيرهم بهذا المبدأ؛ فعندما يدخل بلدة ينظر في حال أهلها؛ فإن أبوا إلا الكفران أذاقهم بسوء صنيعهم البأس الشديد، أما إذا استجابوا لداعي الإيمان فإنه يكرمهم بالحسنى، ولفظ الحسنى لفظ عام يشمل إحسان القول والفعل وغير ذلك.

ثانيا: الصلة المباشرة بالجند والرعية:

ويتحقق ذلك بألا يجعل القائد بينه وبين جنده ورعيته وسائط أو حجابا؛ فها هو ذو القرنين يلقى الناس، ويستمع لشكواهم، حتى وإن تباينت لغتهم عن لغته، أو ضعف فهمهم وظهر عجزهم وبداوتهم، وقد ورد في السنة النبوية الوعيد الشديد لمن ولي أمرا من أمور الناس فاحتجب دونهم؛ ففي الحــديث



عن رسول الله ﷺ قال: " **من ولي من أمر المسلمين ثم أغلق بابه دون المسكين والمظلوم وذوي الحاجة أغلق الله تبارك وتعالى أبواب رحمته دون حاجته وفقره أفقر ما يكون إليها**"[1].

والناظر في سيرة ذي القرنين يجد أنه كان يلقى الناس، ويكلمونه فيما يعنُّ لهم، ويعرضون عليه ما يخيفهم حتى ينصرهم ويعينهم، وهذا شأن القائد الراشد؛ الذي لا يحجب نفسه عن الناس، وربما أدى ذلك إلى عدم وضوح أمر الرعية عنده، أما القائد الراشد فإنه يستمع إلى الناس حتى وإن كانوا لا يفقهون قولا.

ثالثا: الحرص على مشاركة الرعية:

وذلك بأن يشارك القائد الرعية في العمل وبذل الجهد، ويشارك الرعية القائد في العمل أيضا؛ فلا ينتظرون أن يصلح لهم من شؤونهم وهم كسالى يريدون الراحة ويكتفون ببذل المال!

لقد عرض القوم على ذي القرنين أن يعطوه المال في مقابل أن يبنى لهم السد الذي يحول بينهم وبين يأجوج ومأجوج، وما كان يعجزه أن يبنيه وهو المؤيد بالأسباب، ولكنه أراد أن يشترك القوم في العمل، قال تعالى: ﴿ **حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾** ﴾ **[الكهف:٩٣-٩٦]**.

لقد كان في مكنته أن يقوم بالأمر، ولكن: ما هكذا تستقيم الأمم، لا بد أن يتشارك الجميع في العمل، وأن يتعاون كل إنسان وأن يبذل ما يستطيع، حتى يأتي النصر ويندحر العدو، وقد أعطى ذو القرنين لهؤلاء القوم درسا عمليا، فقام- وهو القائد- بالعمل بنفسه وألزمهم بالعمل معه حتى انتهوا من بناء السد.

رابعاً: ردع المعتدين ومنعهم من التصرف:

وقد فعل ذو القرنين ذلك؛ وقام بحبس يأجوج ومأجوج خلف السد، وقد استنبط العلماء من هذه الآيات دللا على منع المفسدين من التصرف في إيذاء الناس، قال القرطبي: (في هذه الآية دليل على اتخاذ السجون، وحبس أهل الفساد، ومنعهم من التصرف لما يريدونه، ولا

[1] رواه أحمد في مسنده وأبو يعلى، قال المنذري في الترغيب والترهيب٣/١١٦: سنده حسن.



يتركون وما هم عليه، بل يوجعون ضربا ويحبسون أو يكفلون ويطلقون كما فعل عمر رضي الله عنه)[1].

خامساً: أن يتعفف القائد عن أموال الرعية إلا إذا احتاجها لتقوية الجيش:

وشاهد ذلك من القصة أن ذا القرنين رفض أن يأخذ من أموال القوم شيئا؛ وقال: ﴿ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ﴾ فلم يحتج من أموالهم، وقد استنبط أهل العلم من هذه القصة حكما مفاده أن على الإمام التعفف عن أموال الرعية ما دام في المال بقية؛ فإذا فني المال في يديه جاز له أن يأخذ من أموالهم، قال القاضي أبو بكر بم العربي في أحكام القرآن: (وَعَلَى الْمَلِكِ فَرْضُ أَنْ يَقُومَ بِحِمَايَةِ الْخَلْقِ فِي حِفْظِ بَيْضَتِهِمْ، وَسَدِّ فُرْجَتِهِمْ، وَإِصْلَاحِ ثَغْرِهِمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ الَّتِي تَفِيءُ عَلَيْهِمْ، وَحُقُوقِهِمْ الَّتِي يَجْمَعُهَا خَزَنَتُهُمْ تَحْتَ يَدِهِ وَنَظَرِهِ، حَتَّى لَوْ أَكَلَتْهَا الْحُقُوقُ، وَأَنْفَدَتْهَا الْمُؤَنُ، وَاسْتَوْفَتْهَا الْعَوَارِضُ، لَكَانَ عَلَيْهِمْ جَبْرُ ذَلِكَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَعَلَيْهِ حُسْنُ النَّظَرِ لَهُمْ، وَذَلِكَ بِثَلَاثَةِ شُرُوطٍ:

الْأَوَّلُ: أَلَّا يَسْتَأْثِرَ بِشَيْءٍ عَلَيْهِمْ.

الثَّانِي: أَنْ يَبْدَأَ بِأَهْلِ الْحَاجَةِ مِنْهُمْ فَيُعِينُهُمْ.

الثَّالِثُ: أَنْ يُسَوِّيَ فِي الْعَطَاءِ بَيْنَهُمْ عَلَى مِقْدَارِ مَنَازِلِهِمْ، فَإِذَا فَنِيَتْ بَعْدَ هَذَا ذَخَائِرُ الْخِزَانَةِ وَبَقِيَتْ صِفْرًا فَأَطْلَعَتْ الْحَوَادِثُ أَمْرًا بَذَلُوا أَنْفُسَهُمْ قَبْلَ أَمْوَالِهِمْ، فَإِنْ لَمْ يُغْنِ ذَلِكَ فَأَمْوَالُهُمْ تُؤْخَذُ مِنْهُمْ عَلَى تَقْدِيرٍ، وَتُصْرَفُ بِأَحْسَنِ تَدْبِيرٍ.

فَهَذَا ذُو الْقَرْنَيْنِ لَمَّا عَرَضُوا عَلَيْهِ الْمَالَ قَالَ: لَسْت أَحْتَاجُ إلَيْهِ، وَإِنَّمَا أَحْتَاجُ إلَيْكُمْ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ، أَيْ اخْدُمُوا بِأَنْفُسِكُمْ مَعِي، فَإِنَّ الْأَمْوَالَ عِنْدِي وَالرِّجَالَ عِنْدَكُمْ؛ وَرَأَى أَنَّ الْأَمْوَالَ لَا تُغْنِي دُونَهُمْ، وَأَنَّهُمْ إنْ أَخَذُوهَا أُجْرَةً نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا يَحْتَاجُ إلَيْهِ، فَعَادَ عَلَيْهِمْ بِالْأَخْذِ، فَكَانَ التَّطَوُّعُ بِخِدْمَةِ الْأَبْدَانِ أَوْلَى)[2].

سادساً: أن يجتهد القائد لرفع الظلم عن المظلومين ودعوة الناس إلى دين الله:

وقد كانت جولات ذي القرنين مصداقا لهذا؛ فما كان يشغله أن يتوطد ملكه أو أن يقهر الأمم الأخرى تحت رايته، وإنما كان شاغله الأكبر تعبيد الناس لربهم، ودعوتهم إلى الدين الحق؛ فإن هم استجابوا كان لهم منه الحسنى في القول والفعل.

---

(1) تفسير القرطبي: ٣٨٤/١٣ طبعة مؤسسة الرسالة.

(2) أحكام القرآن للقاضي أبوبكر بن العربي: ١٢٣٦/٣ طبعة دار المعارف.



وكان في خطواته أيضا يسعى إلى نصر المظلومين، ورفع الإفساد في الأرض، ومعونة من لم يستطع العمل لنفسه، وتلك- لعمر الله- أعظم صفتين يتحلى بهما قائد؛ فإذا اجتهد القائد في دعوة الناس إلى الله، وفى رفع الظلم والأذى عن الضعفاء فإنه يحقق بذلك أعظم ما يمكن أن يحققه قائد.

سابعاً: علو الهمة واجتياز العوائق:

قال رسول الله : "**إن الله يحب معالي الأمور وأشرافها ويكره سفسافها**"(١)، فالإنسان ذو الهمة العالية لا يرضى بغير نصرة الحق بديلا، ولا يعيقه عن بذل الجهد عائق من طول سفر أو وجود خطر أو غير ذلك؛ فذو القرنين طاف مشرق الشمس ومغربها، وعبر البحار وتجاوز الفيافي والقفار ليصل إلى غايته، ولو تكاسل أو توانى لما فتح الفتوح ومصر الأمصار.

إن القيادة تحتاج إلى رجال يتحركون ويعملون ويجدون، لا تقعدهم النوائب ولا تؤثر فيهم الحوادث، فلا ينفكون حتى ينالوا ما يأملون.

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير برقم ٢٨٩٤ وانظر: صحيح الجامع برقم: ١٨٩٠.



خاتمة

أوجه الشبه بين الرجلين

تتشابه قصة ذي القرنين مع قصة سليمان عليه السلام من أكثر من وجه، وسوف أذكـــر خلاصة ذلك فيما يلي:

أولا: أن كليهما قد أنعم الله عليه من فيض جوده وواسع عطاياه؛ فذو القرنين قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ [الكهف:٨٤]، وسليمان قال الله تعالى على لسانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النمل:١٦].

ثانيا: بل إننا نجد أن الأسباب التي أوتيها كلا منهما كانت متشابهة أيضا؛ فقد قال الله تعالى في حق سليمان عليه السلام: ﴿ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ﴾ [سبأ: ١٢]، وقال على لسان ذي القرنين: ﴿ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ [الكهف: ٩٦]، والقطر كما ورد في أقوال المفسرين هو النحاس[(١)].

ثالثا: وقد كان كل من الرجلين يعرف نعمة ربه عليه، ويقدرها حق قدرها؛ فلا يعدل بها بديلا؛ فسليمان عليه السلام تعرض عليه ملكة سبأ الهدية فيرد قائلا: ﴿ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم ﴾ [النمل:٢٦]، وكذلك كان ذو القرنين؛ فقد أخبر القرآن عنهأنه قال: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ [الكهف: ٩٥].

رابعا: ومع كل هذه النعم المتواترة عليهما فإنهما يكلان الفضل في ذلك إلى الله تبارك وتعالى؛ فسليمان عليه السلام يقول عندما جاءه عرش ملكة سبأ: ﴿ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل:٤٠]، وذو القرنين عندما بنى السد مع القوم بيَّن أن هذا من فضل الله عليه وعلى الناس فقال: ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ﴾ [الكهف:٩٨].

خامساً: وقد استغل القائدان هذه النعم الربانية والأسباب المادية في التمكين لدين الله في الأرض، فانساحوا في الدنيا ينشرون دين الله، ويمكنون له في قلوب العباد، ويفتحـــون الـــدنيا بالإسلام الذي ارتضاه الله للبشر جميعا. وقصتهما خير دليل على ذلك.

(١) انظر: القرطبي



سادساً: وكلا القائدين لا يعرف المجاملة في دين الله؛ فإذا تعدى متعدٍ أو أساء مسيء استحق أن ينزل به العقاب الأليم، قال تعالى على لسان سليمان عليه السلام: ﴿ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [النمل:٣٧]، وقد أرسى ذو القرنين نفس المنهج، منهج إثابة المطيع وتعذيب العاصي، فقد قال الله على لسانه: ﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴾ [الكهف:٨٧]، وهذا أمر لا يستقيم الملك إلا به.

سابعاً: ومن أوجه الشبه أيضا أن الله تعالى أعطاهما الخيرة فيما يفعلان فقال في خطاب لسليمان: ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [ص:٣٩]، وخاطب ذا القرنين فقال تعالى: ﴿ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾ [الكهف:٨٦].

ثامناً: وقد كان علم الله محيطا بهما وبما يقومان به؛ فلا يعزب عن علمه سبحانه أي شيء في الأرض أو السماء، قال تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء:٨١] وقال: ﴿ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾ [الكهف: ٩١].

تلكم أوجه الشبه التي فتح الله بها علي، ومن أنعم النظر فلعله يظفر بما هو أكثر والله الموفق.

وفي كل قصة من القصتين ما يميزها عن الأخرى؛ فقصة سليمان يظهر فيها دور الجنود، أما قصة ذي القرنين فيتوارى فيها دور الجنود ليظهر دور القائد؛ ولعل السبب في ذلك – والله أعلم– أن قصة ذي القرنين جاءت ردا على سؤال للمشركين بتلقين من اليهود حول شخصيته، فناسب أن تأتي القصة بالتركيز على هذا الجانب، ثم إن القرآن الكريم لم يذكر كل ما قام به ذو القرنين، وإنما قال: ﴿ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾ [الكهف: ٨٣]، ومن للتبعيض كما سبق؛ فلم يذكر كل أمره وشأنه، وإنما ذكر بعضه مما يسلط الأضواء على شخصيته، فلعل هذا هو السبب في عدم ذكر جنوده والله أعلم.

ومواطن العظة والعبرة في القصتين كثيرة، وما إخالني أتيت إلا باليسير منها، فأنى يتأتى لنا أن ندرك كل هذه العظات النيرات، وإنما حسبنا أن نشير، وأن نلج باب التدبر للكتاب المنـــزل والله الموفق لا رب سواه وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



المراجع

١) أولا: القرآن الكريم.

٢) أحكام القرآن للقاضي أبو بكر بن العربي طبعة دار المعارف.بتحقيق أبو الفضل إبراهيم.

٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن لأبي السعود العماري. طبعة بيروت.

٤) البداية والنهاية لابن كثير طبعة دار النور بيروت.

٥) الترغيب والترهيب للمنذري طبعة وزارة الأوقاف بمصر.

٦) تفسير القرآن العظيم مسندا عن الرسول والصحابة والتابعين لابن أبي حاتم طبعة مكتبة الدار بالمدينة ١٤٠٨هـ.

٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير طبعة طيبة بالرياض بتحقيق/ سامى السلامة.

٨) الجامع لأحاكم القرآن للقرطبي طبعة مؤسسة الرسالة. الأولى ٢٠٠٦م.

٩) روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني للآلوسى طبعة دار إحياء الكتب العربية.

١٠) زاد المسير في علم التفسير طبعة المكتب الإسلامي بتحقيق/ زهير الشاويش.

١١) صحيح البخاري طبعة السلفية بتحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي.

١٢) صحيح الجامع الصغير وزياداته للألباني طبعة المكتب الإسلامي بيروت.

١٣) صحيح مسلم بترقيم عبد الباقي طبعة فيصل عيسي البابي الحلبي.

١٤) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من كتب التفسير طبعة دار الفكر بيروت.

١٥) لباب التأويل للخازن طبعة دار الفكر بيروت.

١٦) مجالس التذكير لعبد الحميد بن باديس طبعة دار الكتب العلمية بيروت.

١٧) مجموع فتاوى ابن تيمية طبعة الرياض.

١٨) المصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة تحقيق مختار احمد الندوى السلفية بالهند ١٤٠١هـ.

١٩) المعجم الكبير للطبراني بتحقيق حمدي السلفي طبعة العراق.

٢٠) المستدرك للحاكم طبعة دار المعرفة بيروت.



